حوليات آداب عين شمس المجلد 53 (عدد يوليو – سبتمبر 2025)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

# التلميح والإقناع في داليّة بشّار بن برد:" أمِنْ وُقوفٍ عَلى شامٍ بِأَحْمادِ ..."

**د. هدى صالح شنيور***

محاضرة متفرغة/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية وآدابها / تخصص الأدب القديم ونقده/ جامعة العلوم الإسلامية العالمية/ الأردن
Huda.Shnyour@Wise.edu.jo

تاريخ الاستلام: 2025/06/18
تاريخ قبول البحث: 2025/08/08
تاريخ النشر: 2025/09/30

**المستخلص:**

يتناول هذا البحث داليّة بشّاربن برد التي يمدح فيها المهديّ، ويحاول الكشف عن الأبعاد التلميحيّة والأساليب الإقناعية التي وظّفها الشّاعر في مخاطبة المهدي لحماية الذّات؛ حيث وجد نفسه مهدّدًا بعدمقتل صاحبيه بتهمة الزندقة بأمر من الخليفة. وسعت الدّراسة إلى بيان طبيعة العلاقة التي تربط الشاعر بالسلطة وإماطة اللثام عن موقفه من العرب، وعن مذهبه وزندقته.

واتخذ البحث المنهج الوصفي التّحليلي لتتبُّع المضمرات والحجج الإقناعية، وتكوّن من مقدمة ومبحثين ونتائج، بيّن المبحث الأول الاتجاهات الخطابية في القصيدة بشقيّه التّلميحي والإقناعي. وتتّبع المبحث الثّاني الآليات اللغوية للسلّم الإقناعي.وفي النتائج توصل البحث إلى إخفاق بشار في الاحتجاج لنفسه والذبّ عنها،ورغم محاولته التّودد، والتّقرب،وإثبات ولائه للخليفة والدولة، تبيّن أنّ القصيدة تحمل في طياتها الذمّ في معرض المدح، وتنطوي على الهجاء والتّهديد في معرض المدح والاعتذار، مما يثبت زندقته وصدق انتمائه لأصوله الفارسية مقابل تلوُّنه وجحوده للعرب والمسلمين.

**الكلمات المفتاحيّة**

**بشّار بن برد، المهديّ، التّلميح، الإقناع، الزّندقة، الشّعوبية.**

**© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2025.**

**المقدّمة**

من المعروف أن بشارًا وُلِد أعمى[1]، وكان أعجمي الأصل فارسيًّا باتفاق الرواة[2]، وقد عاش في وسط عربي فتشرّب ثقافة العرب وأتقن لغتهم، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاصروا الدّولتين الأموية والعباسية، وشهد ثورات دارت في الدولتين وأحداثًا جعلته متقلّب الفكر، متحوّل المزاج، متناقضًا مع نفسه والآخرين.[3] وهو من الشعراء الذين وُجِّهت إليهم أصابع الاتهام بالزندقة والمجون والتشيّع، وعدّه بعضهم من الخوارج. وقد حاول الصدّ عن نفسه والدّفاع للهروب من حكم الإعدام وتنكيل السلطة به وبالزنادقة عمومًا في زمن المهديّ، فوقف بين يدَي الخليفة معتذرًا ومستعطفًا بهذه القصيدة.

**أهميّة الدّراسة ومبرّراتها:**

تلتفت الدّراسة إلى تجربة شعرية لشاعر مجدّد ومتمكّن من اللغة وأدواتها رغم أنه من المولّدين، كما تجسّد تجربة خاصة تؤطر علاقة الشاعر المولّد بالسلطة، وسبل الدفاع عن النفس تحت وطأة السّلطان وتهديده. وهي تجربة حيّة عكست جدلًا فكريًّا وانقسامات سياسية، وتبدّل للدّول، وتدافع للسّلطات، رافقها ازدحام ثقافي وخلافات عقائديّة زخرت بها تلك الحقبة وبدا أثرها في لغة الشّاعر وأسلوب خطابه.

**أسئلة الدّراسة:** تحاول الدّراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما طبيعة العلاقة التي تربط بشارًا بالسلطة في ظل خلافة المهدي؟

2- ما الدّلالات المضمرة التي انطوت عليها لغة القصيدة ومكوناتها البنائية والفكرية؟

3- كيف دافع بشّار عن نفسه؟ وما الأساليب اللغوية التي وظّفها لاستعطاف المهدي ورد تهمة الزّندقة الموجهة إليه؟

4- هل نجح الشاعر في دفع تهمة الزّندقة وإثبات ولائه وانتمائه للمهدي والدولة العباسية؟

**الدّراسات السابقة:**

تناولت بعض الدراسات سبل الحجاج والإقناع في ديوان بشار، وناقشت دراسات أخرى زندقته وما وُجّه إليه من اتّهامات، وما دار من جدل حول مذهبه، ومن هذه الدّراسات:

1- دراسة لكل من: الشّرقاوي، إيهاب خالد سعد، وعبدالله، محمد حسن، الحجج المؤسسة لبنية الواقع في ديوان بشار بن برد: دراسة تداولية. وأخرى بعنوان: الروابط الحجاجية في ديوان بشار بن برد: دراسة تداولية. وكلاهما مستلّ من رسالة: آليات الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد، دراسة تداولية، عبد العزيز، ربيع (مشرف)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، عدد 64، 2023.

2- هيثم، سرحان، الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، عدد 11، 2013.

3- فوزي، فاروق عمر، حول زندقة بشار بن برد، مجلة المورد، عدد 4، 1976.

وبعد النظر في الدراسات السابقة، لم تجد الباحثة دراسة تتناول داليّة بشار التي بين أيدينا بالتّحليل والبيان وإظهار ما فيها من أبعاد ثقافية، وأساليب إقناعية، ومضمرات كما هو مخطط له في هذا البحث.

**المبحث الأول: الاتّجاهات الخطابيّة في القصيدة**

**أولًا: الخطاب التّلميحي:** إن أهم ما يميز الحجاجي في اللغة الطبيعية التداولية إمكانية الاعتماد على الإضمار والتلميح لتعزيز الحجج، بل يُعدّ الحجاج بالتضمين وإضمار الدلالات أقوى أثرًا من تقديم الحجج المباشرة الصريحة، خاصة في إطار حفظ النفس والتنصّل من الذنب والهروب من العقاب المنتظر، فالحجاجية لا تكتفي بمعيار الوضوح أوالإثبات العقلي، بل تأخذ بعين الحسبان الفرد واهتماماته، وتنظر إلى تاريخه وظروفه وحالاته العاطفية...[4] وما تنطوي عليه من أحاسيس وافكار مضمرة. ونستشف الخطاب التلميحي في القصيدة من خلال:

**1- فحوى الخطاب:** إذ نلمحفي فحوى الخطاب الموجّه في القصيدة أساس المشكلة؛ مشكلة اتهام الشاعر بالزّندقة، ونلمح وسائله الدفاعية للتّنصل من التهمة، وبيان ذلك:

**1.1. خطاب الزندقة / التّهمة**

كان بشارمن أبرز الشّعراء الذين كثر الجدل حول عقيدتهم، فقد اتُّهم بالشّعوبية والزّندقة والإلحاد، وقال عنه آخرونإنه شيعيّ متطرّف، في حين ضمّه البعضإلى الخوارج[5]،وقد تشرّب العربية وتردّد إلى حلقات المتكلمين، وعاصر المعتزلة وتعرّض للآراء المزدكية المانوية؛ مما شوّش أفكاره وجعله يجاهر بمجونه ويبث شكوكه في شعره.[6]

وقد اختلف العلماء في تعريف الزّندقة، واتفق كثير منهم على أن المصطلح ليس محدودًا، وقد يتسع لكثير من التفسيرات الدينية والسياسية إضافة إلى كل من يعادي الدولة، سواء من ينتمي إلى فرق مخالفة، أو الذين ينادون بآراء يُعدّ انتشارها خطرًا على الدولة أو تهديدًا لقيمها وأهدافها" [7]

ومن الأمور التي لاخلاف فيها هو ما ثبت عن بشار من مجون ولهو وشرب، حتى نهاه المهدي عن ذلك حسب الروايات. و قد اتفق الصولي والثعالبي على أن الزنديق هو الماجن الظريف [8] وبمجونه يخالف القيم ويهدد الأخلاق السائدة.

وقد بدا أثر الزندقة في مقدمة القصيدة، رغم أنها قصيدة مدح للمهدي، إذ خرج الشاعر عن المألوف والمتعارف عليه في مقدمات المديح، واستهلّها بمشهد حزين يبكي فيه صاحبيه (نديميه) اللذين قتلهما المهدي، ويرثيهما، وفي بيت واحد فقط يقف على الأطلال البالية ثم يبكي صاحبيه قائلًا:[9]

أمِنْ وُقوفٍ عَلى شامٍ بِأحْمادِ وَنَظْرَةٍ مِنْ وَراءِ الْعابِدِ الْجادي

تَبْكي نَديمَيْكَ راحا في حَنوطِهِما ما أقْرَبَ الرائِحَ الْمُبْقي مِنَ الْغادي

مَهْلًا فَإنَّ بَناتِ الدَّهْرِ عامِلَةٌ في الْغُبَّرَيْنِ وَما حَيٌّ بِخَلّادِ

فَاخْزُنْ دُموعَكَ لا تَجْري عَلى سَلَفٍ تَخْدي إلى التُّرْبِ يا جَهْمُ بْنَ عَبّادِ

في النّفْسِ شُغْلٌ عَنِالْغادي لِطِيَّتِهِ وَفي الثَّوابِ رِضًى مِنْ صاحِبٍ رادِ

مَنْقَرَّ عَيْنًا رَماهُ الدَّهْرُ عَنْ كَثَبٍ وَالدَّهْرُ رامٍ بِإصْلاحٍ وَإفْسادِ

وَكَيْفَ يَبْقى لِإلْفٍ إلْفُ صاحِبِهِ وَلا أرى والِدًا يَبْقى لِأوْلادِ

في الأبيات السابقة يجرّد الشاعر من نفسه ذاتًا أخرى يخاطبها متحسرًا، وكأنه يرى مصيره يلوح بين ناظريه كمصير صاحبيه. واستعماله للفظة "نديمين" تعكس طبيعة العلاقة التي تربط بينه وبينهما، فهما المُؤنسان له، والمصاحبان على الشرب والمجون.

وقد بات يرى الموت غير بعيد منه، فإن كان ثمة بكاء، فالأولى أن يبكي نفسه وحاله وما ينتظره من هلاك محتم، وهو ما نستشفه من قوله:(ما أَقْرَبَ الرّائِحَ الْمُبْقي مِنَ الْغادي).

**1.2. الإضمار– رمزية الديار والدهر**

وتعكس الأبيات السابقة حزن بشار على صديقيه اللذين قُتلا بتهمة الزندقة كما يقول الشارح، وهي تهمة لاصقة ببشار وشى بها بعضهم إلى المهدي فأصبح مهددًا.

وبكاء الشاعر رفقاء هذا المذهب في مقدمة قصيدة مدحية يؤكد تعاطفه مع أنصاره، ويشير أيضًا إلى اتخاذ الزندقة مذهبًا له.

وقد وقف على الديار متحسرًا ووصفها بالشام "جمع شامة"، وهي العلامة المخالفة لسائر اللون، وقد ترمز شام إلى الخليفة المهدي، فاستفتح بذكر تميز تلك الديار؛ كون المهدي يختلف عن غيره وقد عُرف بحزمه وشدته على الزنادقة والمخالفين للدين، لذا حمد الشاعر تلك الديار ونقاوة هوائها وخصب مائها(بأحماد)؛ تمهيدًا لحمد الخليفة واستجداء عطائه وخصب كرمه، فوقف ببابه بخشوع وتوسُّل (العابد الجادي) مؤمّلًا أن يلتفت الخليفة وينظر إليه ولو بنظرة عطف واحدة تنجيه من المصير المنتظر (الإعدام)، وهو ما يوحيه مصدر المرة (نظرة).

والاستفتاح بإظهار الخشوع والتذلل والاستعطاف مناسب في مقام مخاطبة الملوك؛ لأن مخاطبة الملوك في باب الاعتذار بالتأكيد ليست مثل مخاطبة العامة أو الأقران.

ولعل (شام) ترمز إلى مذهب بشار ورفاقه في الزندقة وديانات الفرس، وهي بطبيعة الحال مخالفة لدين الدولة الإسلامية؛ لذا اختفى الشاعر وراء تلك الديار، بل وقف خاشعًا ذليلًا طالبًا الصفح ومتأرجحًا بين شعور الحزن على دمارها، والخوف من إعلان اتباعها، والخضوع طلبًا للعفو والصفح تحت وطأة تهديد الخليفة.

وقد تحوّلت لغة الخطاب من إظهار الوجد والود لصاحبيه إلى الشكوى والخوف من مواجهة مصير مرعب، فوضعنا الشاعر أمام كوارث الدهر وعملها المدمر، وبعد أن وظّف أساليب الاستفهام وألفاظًا تشي بعلاقة الحب والألفة بينه وبين أتباع الزندقة:(نديمين، إلف، أصحاب)، نجده ينتقل إلى الشكوى من الدهر ومصائبه التي تلاحق بشارًا وكل إنسان، وتهدد وجوده وتمنعه لذة الحياة، فتجنّب الشكوى من العاقل (المهدي)، وعَبَرَ إلى الشكوى من غير العاقل( الدهر)؛ خوفًا وهروبًا من المواجهة المباشرة، وفي الوقت ذاته قدم إيحاء ورمزًا يُظهر المهدي كارثة من كوارث الدهر ومصيبة سُلّطت على رأس الشاعر ورفاقه من أتباع الزندقة. وهو بذلك يذمّ الخليفة في معرض المدح، والدليل قوله: (بنات الدهر، والدهر رام، رماه الدهر).

### 1.3. وسائل الدفاع وحماية الذات من تهمة الزندقة:

**أولًا: التّقية**

يبدو أن الشاعر اضطُرّ اضطرارًا لاتخاذ التقية وسيلة لحفظ الذات، إذ دعا نفسه لإضمار حزنه وحبس دموعه؛ خشية أن يُفتضَح أمره، وذلك في قوله:اخْزُنْ دُموعَكَ.

كما يشير قوله: (في النَّفْسِ شُغْلٌ عَنِ الْغادي لِطِيَّتِهِ) إلى ضرورة إخفاء ما تنطوي عليه نفسه من نوايا وأفكار ليتّقي شر السلطان.

وتأتي الحكمة لمواساة النفس وحثها على الهروب من المواجهة، فالأولى بها أن تنشغل عن التفكير في الغد؛ خوفًا من المصير المجهول.

وبذا نكشف ما انطوت عليه المقدمة من هجاء، وما ينعكس من مراوغة الشاعر وتقلُّب مزاجه وتجرُّعه كأس الخوف من الدهر وتقلُّباته (المهدي).

**ثانيًا: مجاراة الخصم**

من ناحية ثانية يمكن عدّ مقدمة القصيدة من باب مجاراة الخصم(المهدي/ السلطة) إذ يظهر فيها توسُّل واستعطاف لحماية الذات وحفظ الحياة وإثبات تأييد الشاعر للمهدي- ظاهرًا-.

وقد سعى الشاعر لمجاراة خصمه المهدي بطرق عدة، منوعًا في حججه وموجهًا خطابه بطريقة يستميل بها خصمه معتمدًا التأثير العاطفي والعقلي والأخلاقي والسياسي.

فمن ناحية عاطفية أرضى خصمه المهدي وخلفاء الدولة بالمدح والثناء عليهم وإظهار التذلّلوالضعف أمام حضرة الخليفة، فاستجدى عطفه وكرمه.

أما حججه الدينية فقد دارت حول فكرة الضلال والإلحاد والضلال والهدى، وأسدل صفات وألفاظًا إسلامية كثيرة في ثنايا شعره.ومن ناحية سياسية وأخلاقية قيمية فقد جعل قيمة العدل والإنصاف جوهر الحكم، وسببًا رئيسًا للنصرة والمؤاخاة وإعلان الولاء للحاكم. ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

**أ- الخطاب الإسلامي**

يرى ابن النديم أن الزنادقة من الثنوية المانوية[10]، ويرى الشريف المرتضى وياقوت الحموي بأن الزنادقة هم من يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام[11]، وقد تمثل بشار نهج الشعراء في العصر الأموي الذين تأثروا بالدعوة الإسلامية والقرآن، فأسبغ على المهدي والعباسيين صفات دينية تشيع فيها ألفاظ وأفكار تمثل روح الإسلام، كقوله:(أهل البيت، عهد النبي، الهادي، رهط أحمد، هجدنا، خرّوا سُجودا، ساقي الحجيج، صلت، منكم، نبي الهدى، عصا الإسلام، النفاق...)، ومن ذلك قوله:

نَفْسي الْفِداءُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ إِنَّ لَهُمْ عَهْدَ النَّبِيِّ وَسَمْتَ الْقائِمِ الْهادي

ويبدو التأثر بالمفاهيم الإسلامية كالنفاق، وقد قرنها الشاعر بالعرب وبني أمية تحديدًا، ويظهر ذلك في قوله:[12]

فَالْآنَ قَرَّتْ عُيونٌ فَاسْتَقَرَّ بِها مَوْتُ النِّفاقِ وَمَنْفى كُلِّ هَدّادِ

وفي المقابل ساير توجُّه المهدي وراعى شدته في أمور الدين وحاول اتقاء شرّه، فنسب إلى نفسه وقومه من الموالي والفرس الصلاح والهداية بعد الفساد، وإخلاص العبادة والتقوى والمبالغة في السجود والتقرُّب، كل ذلك بفضل المهدي وعدله في حكمهم وإنصافهم حتى دخلوا وفودًا في الإسلام، كقوله:[13]

لكِنْ وَلونا بإنْصافٍ وَمَعْدَلَةٍ حَتّى هَجَدْنا وَكُنّا غَيْرَ هُجّادِ

.....

صَلَّتْ لَكُمْ عَجَمُ الْآفاقِ قاطِبَةً فَوْجٌ وُفودٌ وَفَوْجٌ غَيْرُ وُقّادِ

إذا رَأَوْكُمْ وَإنْ كانوا عَلى عَجَلٍ خَرّوا سُجودًا وَما كانوا بِسُجّادِ

واللافت أن الشاعر جعل خضوع الموالي وصلاتهم وسجودهم للمهدي وليس لله! وهو بذلك يبالغ في إضفاء الهيبة والقداسة على الخليفة ويُشبع رغبته في إظهار الطاعة والولاء وتمكين السلطة له، وفي المقابل يُمعن في إذلال نفسه وخضوعه، وهو ما يؤكد مراوغته وتلوُّنه في مخاطبة الملوك على المستوى الديني والسياسي.

**ب–الخطاب السياسي المراوغ**

وكعادته يظهر مراوغًا متقلّب الأحوال والأهواء، فبعد أن كان مدّاحًا لبني أمية يبدو هنا ساخرًا منهم شامتًا، إذ يمدح العباسيين ويعجب بقدرتهم على إسقاط حكم عبد الملك بن مروان ويصفه ب (المُحِلِّ)؛ لأنه قاتل عبد الله بن زبير في حرم مكة، ويذكر أفعال العباسيين وتشنيعهم ببني أمية، وذلك في قوله: [14]

لَمْ يَحْكُموا في مَواليهِمْ وَقَدْ مَلَكوا حُكْمَ الْمُحِلِّ وَلا حُكْمَ ابْنِهِ الْعادي

ومما يروى في مراوغة بشار ومجاراته السلطة، مسارعتهإلى إحداث تغييرات في القصيدة التي يمدح فيها إبراهيم بن عبدالله قائد الثورة العلوية ظنًّا منه أنه سينتصر على المنصور، وبعد أن خاب ظنه غير كلماتها وجعلها في مدح المنصور.[15]، و قد عزز مراوغته في هذه القصيدة بالاتكاء على فكرة دينية سادت العصر حول أحقية العباسيين في الخلافة؛ كونهم من آل بيت النبيين، والخليفة هو ظل الله في الأرض يحكمه في أمور الرعية (إنَّ الْخَليفَةَ ظِلٌّ يُسْتَظَلُّ بِهِ)، وقد ردّد هذا المعنى ليحدد علاقته بالسلطان، ويؤكد حاجة الشاعر الماسة إلى ظل المهدي وافتقاره الإحساس بالأمان، استنادًا إلى القول المأثور: "السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده". وذلك في قوله:[16]

إنَّ الْخَليفَةَ طَوْدٌ يُسْتَظَلُّ بِهِ عالٍ مَعَ الشَّمْسِ مَحْفوفٌ بِأَطْوادِ

وقوله:[17]

دونَ الْخَليفَةِ مِنّا ظِلُّ مَأْسَدَةٍ وَمِنْ خُراسانَ جُنْدٌ بَعْدَأَجْنادِ

وقوله:[18]

يَغْدو الْخَليفَةُ مَرْؤومًا نطيفُ بِهِ كَما يطيفُ بِبَيْتِ الْقِبْلَةِ الْجادي

وقوله:[19]

نِعْمَ الْإمامانِ لا يَقْفو مَقامَهُما بِالْحُرْسِ دونَ عَمودِ الدّينِ ذَوّادِ

هُما أَقاما عَصا الْإسْلامِ وَارْتَجَعا أَعْوادَ أَحْمَدَ مِنْ شَرْقٍ وَأَعْوادِ

ج- **الشّعوبية**

وعن علاقة الزندقة بالشعوبية، فقد ربط الجاحظ بينهما في قوله: " عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه عن طريق الشعوبية، فإذا أبغض شيئًا أبغض أهله"[20] إذ يؤكد بغض الشعوبية للإسلام وأهله، مطرقًا: " ثم إنك لم تر قومًا أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه"[21] وقدشجّع نفوذ الفرس في الدولة العباسية بشارًا على التغني بشعوبيته والتذكير بفضل الفرس على المهدي والدولة العباسية، وفي المقابل هيّأ له الخلاف بين الدولتين (الأموية، والعباسية) مجاراة خصمه المهدي بذمّ الأمويين، فكانت فرصة سانحة للنيل من العرب وذكر مثالبهم.

وقد تمثلت الشعوبية القومية في القصيدة بثلاثة اتجاهات، أولها: ذمّ الأمويين، والثاني: الفخر بالفرس وخراسان، والثالث: المنّ على المهدي والدولة العباسية بجلب الخلافة وتمكين سلطتهم ضد الأمويين.

**أولًا: ذمّ الأمويين**

وتجلّى في إعلان سروره وابتهاجه بما آل إليه خصوم الدولة العباسية من الأمويين كما يظهر في قوله:[22]

قَدْ سَرَّني أنَّ مَنْ عادى كَبيرَكُمو في المُلْكِ نِصْفانِ مِنْ قَتْلى وَشُرّادِ

لا يَرْجِعونَ لِما كانوا إنْ رَغِموا وَلا يَنامونَ مِنْ خَوْفٍ وَإجْحادِ

وقد تمحور ذمه لهم بالآتي:

**الشماتة والسخرية بما آل إليه حال الأمويين على أيدي العباسيين والموالي.**

يؤكد الشاعر سروره بما آل إليه حال الدولة الأموية وأنصارها حتى صاروا بين شريدوقتيل، وآخر يعيش حالة الرعب وعدم الاستقرار، عدا عن الفقر وضيق العيش، ويستبشر باستحالة عودة المجد لبني أمية بعد أفول نجمهم وغياب سلطتهم.

**اتهامهم بالكفر والضلال والإلحاد**

وزادت جرأته حين أضفى صفات الكفر والإلحاد على أتباع الدولة الأموي، فقلب التهم الموجهة إليه (الزندقة) على خصومه، وأصبحوا في نظره مدّعين للخلافة، ومنكرين أحقية غيرهم بها.

وقد وظّف صيغ المبالغة ليؤكد كفرهم وجحودهم بالقرآن(صُمٌّ عَنِ الْخَيْرِ، بِالْقُرْآنِ جَحّادُ، حُسّاد، شُرّاد) في قوله: [23]

لَمْ يَلْقَ ذو الْمَجْدِ ما لاقَيْتُ مِنْ قِرَمٍ صُمٌّ عَنِ الْخَيْرِ بِالْقُرْآنِ جُحّادِ

لَمْ يَشْعُروا برَسولِ اللهِ بَلْ شَعَروا ثُمَّ اسْتَحالوا ضَلالًا بَعْدَ إرْشادِ

أنْصَفْتُمونا فَعابوا حُكْمَكُمْ حَسَدًا وَاللهُ يَعْصِمُكُمْمِنْ غِلِّ حُسّادِ

**اتهامهم بالعصبية القبلية والعنصرية**

وتبرز القومية العصبية في وصفه للأمويين ب "الحُسّاد"، وهم قوم كارهون للموالي ومبغضونللفرس، وهو ما دفعهم لمحاربة أبناء عمومتهم من بني العباسعندما أنصفوا في حكمهم للفرس وقرّبوهم من مراكز الدولة وقلّدوهم المناصب.

ونرى نشوة الشاعر في الهجاء وحنقه على الأمويين حين وصف معاملتهم للفرس والموالي بالظلم والسطو، وتعيير الموالي بأصولهم وأجدادهم، فيرد عليهم مؤكدًا أن العار كل العار والذل مكانه في وجود بني أمية.

**تجميل أخلاق الموالي باتباع قواعد الدين في معاملة خصومهم الأمويين**

ويُظهر الأنفة مستحضرًا قاعدة من قواعد الأخلاق الإسلامية، وكأنه يتمثل قول الله تعالى "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا". والغاية من ذلك الإمعان في تحقير بني أمية وتصغير شأنهم، فهم أقل من أن ينظر إليهم ويجاريهم في حقدهم، وبذا ينتصر لنفسه وقومه، ويجاري ممدوحه ويُشبع رغبته في المديح والنصرة. يقول:[24]

وَقَدْ نَرى عارَ قَوْمٍ في أُنوفِهمو وَنَتْرُكُ الْعَيْبَ إذْ لَيْسوا بِأنْدادِ

كَأنَّنا عَنْهُمو صُمٌّ وَقَدْ سَمِعَتْ آذانُنا قَوْلَ جَوْرٍ غَيْرَ قُصّادِ

لمّا رَأوْنا نُواليكُمْ وَنَنْصُرُكُمْ ثاروا عَلَيْنا بِأضْغانٍ وَأحْقادِ

**ثانيًا:الفخر بالفرس وخراسان**

تحضر في هذا الجانب الأنا الممتلئة مُوظّفًا صيغة (نحن)، ما يؤكد عمق الولاء وصدق الانتماء لجذوره وأصله الفارسي. ومن فخره بالفرس قوله:[25]

لَوْلا الْخَليفَةُ أنّا لا نُخالِفُهُ لَقَدْ دَلَقْنا لِأرْوادٍ بِأرْوادِ

حَتّى تَرَوْنا وَعَيْنُ الشَّمْسِ فاتِرَةٌ في كَوْكَبٍ كَشُعاعِ الشَّمْسِ وَقّادِ

نَحُشُّ نيرانَ حَرْبٍ غَيْرَ خامِدَةٍ تَحْتَ الْعَجاجِ بِأرْواحٍ وَأجْسادِ

واللافت للنظر أن الشاعر يضفي على الفرس صفات وميزات طالما افتخر بها العرب ومجّدوها، فوصف شجاعتهم وإقدامهم في الحروب، وذكر دروعهم وسيوفهم(كوكب) متكئًا على مخيلته في وصف لمعانها، فهي حادة تشبه أشعة الشمس في توقُّدها.

وهم من يوقدون لهيب الحرب إن خمدت ويقدّمون أرواحهم وأجسادهم فداء للكرامة والنصر، ويصوّر جنود خراسان أسودًا في شجاعتهم، موحَّدين في توجههم، إذ تتابع جنودهم جندًا بعد جند للتضحية والدفاع عن كرامتهم، وحفظ هيبتهم وحماية الخليفة والذبّ عنه.

وهم كرماء يحسنون الجوار ويسقون الظمأى، ويبدي إعجابًا شديدًا بهم إذا شبّت الحرب وتحمسوا، فالنصر حليفهم لا محالة ولا طريق للفشل أو الهزيمة.

ويسرف في ذكر شجاعتهم حتى غدا من المستحيل أسر أحد منهم أو تركه مغلوبًا خلفهم، بل هم من يسبون ويأسرون من عدوهم. وهم لا يخشون الوقوع في الأسر ولا يصدّهم توقُّع القتل والأسر عن القتال؛ لذا كثرت أعيادهم وعمّت البهجة حياتهم، كنايةعن كثرة انتصاراتهم وتواليها.

**ثالثًا: المنّ على الدولة العباسية والمهدي بجلب الخلافة والخيرات لهم.**

ثم نراه يمنّ على العباسيين ويفخر بجلب الخلافة لهم بحدّ سيوف الفرس، وفي غفلة من بني أمية الذين وصفهم بالجور والظلم والرقاد حتى وصلت الخلافة وتثبّتت أركانها للمهدي.

وفي مديح الشاعر للمهدي تتحدد العلاقة بينه وبين السلطة أو بين الموالي والدولة الإسلامية؛ لذا راح يستعطف ويمنّ على السلطة ويذكرها بما آلت إليه الدولة العباسية من الغنى، وكسب الثروات والكنوز والذهب والأموال التي تُجبى من خراج الأر ض وغلاتها.

**د: الاستعطاف والتكسّب**

من طرق مجاراة الخصم وأقصى ما يرجوه الشاعر في هذه القصيدة هو استجداء رحمة المهدي ونيل العفو وكسب رضاه وهباته، كقوله: [26]

إنّي لغادٍ فَمُسْتَأْدٍ وَمُنْتَجِعٌ رَهْطَ النَّبيِّ وَذو الْحاجاتِ مُسْتادِ

يا رَهْطَ أحْمَدَ ما زالتْ أئِمَّتُكُمْ تودي الضَّعيفَ وَلا تَكْدي لِرُوّادِ

مِنْكُمْ نَبيُّ الْهُدى يَقْرو مَحاسِنَهُ ساقي الْحَجيجِ وَمِنْكُمْ مُنْهِبُ الزّادِ

تتجلى في الأبيات غاية الشاعر في التكسب وأخذ العطايا والهبات، وتتجذر محاولات مجاراة خصمه حين يُظهر حاجته وضعفه مستعطفًا المهدي، وواصفًا إياه بما يليق برهط النبي وآل بيته من الكرم، والمروءة، وإغاثة الملهوف، ونصرة الضعيف وسد حاجاته، والترفُّع عن البخل. ويربط صفات الكرم بما عُرف به العباس عمّ النبي من سقاية الحجيج، وجدّه هاشم الذي كان يهشم الثريد لأهل مكة سنة المجاعة.

وفي نهاية القصيدة عاود استجداء كرم الخليفة وطلب هباته وعطاياه.

وهنا تبرز ثقافة بشار الشعرية ومعرفته بأساليب العرب التقليدية في المديح، فنهج طريقتهم فيما أسبغه على المهدي من صفات: كالجود وعموم الخير في البلاد بوجوده، وهو كالبحر والندى لأوليائه، وكالردى لأعدائه.

وعزّز مديحه بإلحاق صفات الشجاعة والبطولة ببني العباس عامة وأئمتها خاصة، كأبي جعفر المنصور، والسفاح، وموسى ولد المهدي، وركّز على بيان رحمتهم وعفوهم ومغفرتهم ذنوب المخطئين الخائفين. يقول:[27]

يا طالِبَ الْعُرْفِ إنَّ الْخَيْرَ مَعْدِنُهُ في راحَتَيْ مَلِكٍ أضْحى بِبَغْدادِ

سَلِّمْ عَلى الْجودِ قَدْ لاحَتْ مَخايِلُهُ عَلى ابْنِ عَمِّ نَبيِّ الرَّحْمَةِ الْهادي

تُزَيِّنُ الدّينَ وَالدُّنْيا صَنائِعُهُ يَخْرُجْنَ مِنْ بادِئٍ بِالْخَيْرِ عَوّادِ

عَمَّ الْعِراقَيْنِ بَحْرٌ حَلَّ بَيْنَهُما يَنْتابُهُ النّاسُ مِنْ زورٍ وَوُرّادِ

تَرى النَّدى وَالرَّدى مِنْ راحَتَيْهِ لَنا لمّا جَرى الْقَيْضُ مَحْفوزا بِإمْدادِ

سِرْ غَيْرَ وانٍ وَلا ثانٍ عَلى شَجَنٍ إنَّ الْإمامَ لِمَنْ صَلّى بِمِرْصادِ

وقوله: [28]

دوني أسودُ بَني الْعَبّاسِ في أشُبٍ صَعْبِ الْمَرامِعَريزٍ غَيْرِ مِئْآدِ

بَيْنَ الْإمامِ وَموسى لِامْرِئٍ شَرَفٌ هذا الْهُمامُ وَهذا حَيّةُ الْوادي

الرّاعِيانِ بِإنْعامٍ وَمَرْحَمَةٍ وَالْغافِرانِ ذُنوبَ الْحالِفِ الصّادي

ولا يخفى ما تنطوي عليه لغة الشاعر في هذا المقام من خوف واستعطاف واعتذار؛ علّ ذلك يشفع له عند المهدي وينجّيه من موت محتّم.

وعليه يمكن تصنيف القصيدة ضمن قصائد الاعتذار كتلك التي نظمها النابغة للملك النعمان، وتشترك معها في الصفات، كجزالة الألفاظ ودقة المعنى، وإضفاء صفات العظمة والقداسة والكمال على ممدوحه، إضافة لمجاراته، وإظهار ضعف المعتذر وقلقه، وتعويله على كرم الممدوح ورحمته لقبول المعذرة. ولا يخلو أسلوب الاعتذار من مراوغة ومكر وهجاء مبطّن وتهديد أحيانًا.

كل ذلك يصوغه بأسلوب متقن يحسن فيه بناء القصيدة وينتقي ألفاظها وأفكارها انتقاء يجذب قلب متلقيه الخاص(المهدي)، ويؤثر في قناعته، ويغيّر موقفه تجاه المعتذر بوساطة اللغة وشعريتها الساحرة.

**المبحث الثاني: آليات السلّم الإقناعيّ ووسائله اللّغوية**

**السلّم الحجاجي:** يتمثل السلّم الحجاجي في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها، ولا يثبت غالبًا إلا الحجة التي تُثبت ذاتها في السياق على أنها أقوى الحجج. [29]

ويوجّه الحجاج عادة إلى الشّخص الذي يراد إقناعه، ولا يكون ناجعًا إلا إذا نجح في تحقيق هدفه الإقناعي، بغض النظر عن درجته ونوعه الفكري ومصداقيته؛ كونها مسائل ثانوية. [30]

**وسائل الإقناع وآلياته في السلّم الحجاجي:**

كثيرًا ما نسمع عبارة " لقد فهمت جيدًا لكنني لست مقتنعًا" وذلك حين يعتمد المحاجج الشرح لعرض وجهة نظره[31]، ومع ذلك قد يحقق الشرح غاية الإقناع بوسائل عدة، منها:

1- **الوصف والسرد:** حيث يسرد الشاعر أحداثًا ووقائع تقوّي حججه، وينطلق في وصفه من الخاص إلى العام أو من العام إلى الخاص، وترتيبها بحسب المراحل أو المشاهدات، وظهر في وصف بشار حال الأمويين وجند خراسان وصفًا مُطوّلًا يُظهر قوّتهم وشكيمتهم وذبّهم عن كرامتهم إذا تطلب الأمر، كل ذلك بعد أن وصف التفافهم حول المهدي وسوقهم الخلافة له وللعباسيين وإسقاط الدولة الأموية على أيدي الموالي والفرس، وكأنها تحمل في طياتها رسائل ضمنية وتخويفًا للمهدي وغيره من الأئمة، فجيش الفرس قادر على نزع الخلافة من المهدي والعباسيين كما نزعوها من الأمويين.

2- **التعريف:** وبتتبُّع الأوصاف والطريقة التي عرّف بها الشاعر نفسه والمهدي وخراسان والأمويين يظهر الآتي:

- تعريف المهدي وأئمة الدولة العباسية: الدهر، عقرب، حية الوادي، الهمام، أهل البيت، القائم، الهادي، رهط النبي، رهط أحمد، الخليفة، ظلّ يُستظلّ به، طود يُستظلّ به، الآباء، ملك، الجود، ابن عم نبي الرحمة، بالخير عوّاد، عزيز غير منآد، الراعيان بإنعام، الغافران ذنوب..، الوالد، الغمر، فَرِس.

يظهر التناوب بين ألفاظ المدح والهجاء التي تثبت تلوُّن الشاعر وسقطات لسانه التي تُظهر بواطنه وتناقضه .

- تعريف الأمويين وأئمتها: الدّعي، العادي، القاسطون، أهل إبعاد، النفاق، هدهاد.
- تعريف بشار: العابد/ الخاشع، الجادي، ذو الحاجات، الضعيف، طالب العرف، الحالف، الصّادي ، مستأد، منتجع . ونلحظ ظهور ألفاظ الضّعف والتذلل في تعريف الشّاعر نفسهووصفه إياها بين يدي الخليفة.
- تعريف خراسان والموالي: جند، المنسر العادي، سراة بني الأحرار، البنين، آساد.

يُلاحَظ تحوُّل الذات عند الانتقال من الحديث والتعريف بالأنا (بشار) إلى نحن (الفرس)، إذ تغيرت لهجة الشاعر من وصف حالة الاستضعاف والاستعباد وعرض الحاجة إلى القوة والاستحكام والتحكّم بمقاليد الأمورو الإسناد، وصولًا إلى التهديد المبطن للمهدي كما تقدم.

**3- حجة الدّليل والمثال باستحضار الأحداث:** ضرب بشار الأمثال المعروفة والمتداولة بين الناس، وقد ضرب لنفسه مثلًا ب "أدحيا"، وهو بيض النعام يُضرَب به المثل كناية عن الذل والهوان؛ كون النعام يفرّ ولا يدافع عن نفسه، وقد ساقه الشاعر في سياق الحزن والإنكار والرفض في قوله[32]:

سِرْ غَيْرَ وانٍ وَلا ثانٍ عَلى شَجَنِ إنَّ الْإمامَ لِمَنْ صلّى بِمِرْصادِ

وَكاشِحِ الصَّدْرِ تَسْري لي عَقارِبُهُ رَشَّحْتُهُ لِعِقابِ بَعْدَ إجْهادِ

أمَوْعِدِي الْعَبْدُ إنْ طالتْ مَواعِدُهُ لهْفي! مَتى كُنْتُ أُدْحِيًّا لِرُوّادِ؟

نلحظ أن الشاعر اختار المواجهة والسير بثبات وثقة دون تردد نحو الخليفة لاستجلاب العفو والدفاع عن نفسه، وقد سرت عداوة الكائدين له والحاقدين عليه ووعيد الإمام له كسُمِّ العقارب، فلا سبيل للفرار كالنعام أمام كل هذا الحقد، ولا هروب من وعود الخليفة المهدي الذي يهدده، ويراقبه، ويقف له ولأتباع الزنادقة بالمرصاد.

وفي موضع آخر يضرب مثلًا بالأسد وبحيّة الوادي لوصف شكيمة الإمام المهدي وابنه موسى، فالعرب تضرب الحيّة مثلًا للشدة على العدو، يقول[33]:

بَيْنَ الْإمام وَموسى لِامْرِئٍ شَرَفٌ هذا الْهُمامُ وَهذا حَيَّةُ الْوادي

وتلك إشارة ضمنية توضح خطورة وعيد المهدي وقدرته على تنفيذ قرار القتل والتخلص من بشار ومعاقبته؛ لذا اختار الشاعر اللجوء وطرق باب السلطان ورجاءه لنيل العفو والمغفرة.

ولوصف الأمويين وظلمهم استحضر بشار مثالًا حكم المُحِلّ وابنه، قاصدًا حكم عبد الملك بن مروان ويصفه ب (المُحِلّ)؛ لأنه قتل عبد الله بن الزبير في حرم مكة، فجعلهم مثلًا للتعدي والظلم بما في ذلك ظلم الموالي .

ويمعن في هجاء أعداء الدولة والمنافسين لها في الخلافة، فيستحضر شخصًا لقّبه بالدّعي في قوله[34]:

إنَّ الدَّعِيَّ يُعادينا لِنَلْحَقَهُ بِالْمُدَّعينَ وَيَلْقانا بِإلْحادِ

وَلا يَزالُ وَإنْ شابَتْ لَهازِمُهُ مُذَبْذَبًا بَيْنَ إصْدارٍ وَإيرادِ

يَنْفيهِ أصْحابُهُ مِنْهُمْ إذا حَضَروا وَإنْ أتانا وَهَبْناهُ لِمُرْتادِ

يصف الشاعر شخصًا يدّعي نسبًا أو مكانة ليست له(الخلافة)، ويعادي الفرس فيضطره إلى كشف حقيقته وفضحه، وفي الوقت نفسه يبدو هذا الشخص عاجزا لا يملك حجة صادقة، بل يتخبط بأقواله وينحرف عن الحق(يلقانا بإلحاد)، وعلى الرغم من تقدُّمه في العمر وظهور الشيب في رأسه فهو ضعيف الحجة، متذبذب الرأي، لم يكتسب الحكمة أو الاستقرار، بل بقي مترددًا ومتخبّطًا.

وقمّة الذم لهذا الشخص المنبوذ أنه لا وزن له ولا قيمة بين قومه وأصحابه ولا غيرهم، بل منبوذ مطرود يُسعى للتخلص منه، فلا يجد احترامًا أو اهتمامًا وقبولًا من أحد.

كما استحضر مثلًا حادثة المُقنَّع وما آل إليه باستذكار حدث سياسي يرتبط بشخصية المُقنَّع الخراساني، وهو لقب لثور بن عمرة الكندي الذي ظهر بخراسان وادّعى الألوهية، وخدع الناس بشعوذته حتى قضى عليه المهدي وقتله. وذلك في قوله[35]:

راحَتْ لَهُمْ مِنْ يَدِ الْوَهّابِ عُدَّتُهُمْ مِنَ الْمَنايا تُوافيهِمْ بِميعادِ

فَأَصْبَحوا في رقادِ الْمُلْكِ قَدْ خَفَتوا وَلَمْ يَكونوا عَلى السُّوآى بِرُقّادِ

مِثْلَ الْمُقَنّعِ في ضَرْبٍ لَهُ سَلَفوا أَذْباحَ أَصْيَدَ لِلْأَبْطالِ صَيّادُ

وهو ما حدا ببشار إلى تأكيد ولائه وصدق تبعيته للمهدي؛ لينجو بنفسه ويتقي شر السلطان، ولا يلحق به مصير المُقنَّع وغيره من الخارجين على الدين والدولة.

ومن هنا تشيع في الأبيات ألفاظ وصفات نسبها بشار للمهدي تعكس مدى خوفه وحالة الرعب التي تعتريه، فجاءت صيغ المبالغة واسم التفضيل لإثباتها (أذباح، أصيد، للأبطال، صيّاد).

**4- التشبيه:**

وظّفه الشاعر لتصوير العلاقة الرابطة بين الموالي والسلطة، وقد حاول الفرار من المصير الذي لحق المُقنَّع، فوصف علاقة الموالي والفرس بالسلطان، وأضفى عليها قداسة تشبه قداسة البيت العتيق، إذ يطوفون حول الخليفة ولا يفارقونه كطواف الحجيج حول الكعبة، كما يذبّون عنه إذا دعاهم، وكأنها علاقة أبناء يعكفون على خدمة أبيهم(الخليفة) وحمايته.

ويذكر احتشادهم لنصرته، بل جعلهم شركاء في قَمْع كل من تُسوّل له نفسه الغدر والخيانة، حتى خفت نجم الخونة وقُتلوا بسوء طويتهم وفُحش فعالهم. يقول[36]:

يَعْدو الْخَليفَةُ مَرْوُومًا نطيفُ بِهِ كَما يطيفُ بِبَيْتِ الْقِبْلَةِ الْجادي

إذا دَعانا ذَبَبْنا عَنْ مَحارِمِهِ ذَبَّ الْبَنين عَنِ الْآباءِ أَحْشادُ

وَنازِعينَ يَدًا خانوا فَقُلْتُ لَهُمْ: بُعْدًا وَسُحْقًا وَكانوا أَهْلَ إِبْعادِ

راحَتْ لَهُمْ مِنْ يَدِ الْوَهّابِ عُدَّتُهُمْ مِنَ الْمَنايا تُوافيهِمْ بِميعادِ

فَأَصْبَحوا في رُقادِ الْمُلْكِ قَدْ خَفَتوا وَلَمْ يَكونوا عَلى السّوآى بِرُقّادِ

مِثْلَ الْمُقَنَّعِ في ضَرْبٍ لَهُ سَلَفوا أَذْباحَ أَصْيَدَ لِلْأَبْطالِ صَيّادِ وَعادَةُ اللهِ لِلْمَهْدِيِّ في بَطَرٍ شَقَّ الْعَصا وَتَوَلّى أَحْسَنَ الْعادِ

**5- المقارنة:** إنها القدرة على فحص التشابهات أو الاختلافات في الوقت نفسه [37] وقد قارن الشاعر بين موقف الأمويين والعباسيين من الموالي، كما قارن بين موقف الموالي من الأمويين والعباسين، إضافة إلى موقف العرب بعضهم من بعض. وتتضح المقارنات في القصيدة على النحو الآتي:

أ- **موقف الأمويين من الموالي،** وتظهر في السلّم على النحو الآتي:

ن- (نازعين يدًا) ( قد خفتوا) انهيار وسقوط / إسقاط

- خانوا (خيانة)
- سمعت آذاننا قول جور غير قصاد
- ثاروا علينا بأضغان وأحقاد
- عيّرونا بآباء وأجداد
- سطوا علينا
- عابوا حكمكم حسدًا
- استحالوا ضلالًا بعد إرشاد
- صمٌّ عن الخير بالقرآن جحّاد
- يلقانا بإلحاد
- يعادينا، حكم المُحِلِّ وابنه العادي/ ظلم (عام)، والحجج بعدها للتّفصيل.

إنّ ترتيب الحجج في السلم الحجاجي يتم وفق علاقة مشروطة تنص على أنّ": كل قول يقع في مرتبة ما من السلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه"،[38] فنجد الحجة في أعلى السلّم تتمثل في الخيانة، وهي أقوى حجة تستلزم العقاب والحرب، ويلزم عنها كل ما دونها من الحجج؛ فالظلم والتعدي وحمل الحقد والبغضاء والتفاخر الجائر بالأنساب والأصول، والانحراف عن الحق والصواب، والجور في الحكم وعدم تحقيق العدالة حجج تتوالى وتشكّل مظهرًا من مظاهر الخيانة، سواء للدين أو للرعية والدولة، فكانت النتيجة الحتمية الثورة ضدهم ثم السقوط.

**ب-موقف العباسيين من الموالي:**

ن: نصرة وتمكين / (دونَ الْخَلِيفَةِ مِنّا ظِلّ مَأْسَدَةٍ) / (سُقْنا الْخِلافَة تَحْدوها أسِنَّتُنا).

- تفرجت ظلم الظلماء عن ملك من هاشم
- إن الإمام لمن صلى بمرصاد / مراقبة ومحاسبة
- إن الندى والردى من راحتيه لنا/ كرم وحزم لا هوادة فيه
- عمَّ العراقين بحر(الكرم والجود)
- تودي الضعيف
- ولونا بإنصاف/ أنصفتمونا / لم يحكموا حكم المُحِلّ

**ج–موقف الموالي وبشار من الأمويين:**

ن– الظلم سبب للانهيار.(نازعينَ يَدًا /(ثورة ومحاربة وإسقاط)

- نازعين يدًا خانوا/ المحاربة
- قلت لهم: بُعدًا وسحقًا/ الدعاء عليهم
- هناك ينسون مروان وشيعته/ تحوّل الولاء والانتماء
- لا نصاب لهم/ تعيير بالنسب ← ردّ التهمة على أصحابها
- نترك العيب، كأننا عنهم صم.... ليسوا بأنداد/ تحقير وتجاهل
- وهبناه لمرتاد/ النبذ والازدراء
- لنلحقه/ فضيحة

**د– موقف المواليمن العباسيين**

إذ قارن بين حالهم قبل خلافة المهدي وبعدها على النحو الآتي:

| بعد الخلافة | قبل الخلافة |
|---|---|
| ن : هجدنا | – كنا غير هجاد |
| ن: خرّوا سجودًا | وما كانوا بسُجّاد |
| ن – صلّت لكم عجم الآفاق | |

تظهر المقارنة بين الطاعة والتأييد على المستوى الديني والسياسي وعدم المخالفة. وقد حدد علاقته بالسلطة وربط الأسباب والمقدمات بالنتائج الظاهرة والمضمرة، على النحو الآتي:

– دون الخليفة منا (الموالي) ظل مأسدة و

ومن خراسان جند، وصفهم ب: حفظ الكرامة شرط للذبّ عن السلطان(مضمرة)

- يذبّون عن مولى كرامتهم الإذلال سبب للتمرد (مضمرة)
- يحسنون جوار الوارد الصادي المهدي والعباسيون يحتاجون إلى الموالي ويتعطشون لدعمهم
  الفضل للموالي وإحسانهم في تثبيت أركان الخلافة للعباسيين
- إذا شبّت الحرب بعد خمودها وعلا زأر آساد لآساد: تحيلنا صيغة التنكير" آساد" بأي فرسان شجعان قد يشعلون نار الحرب ضد الفرس بمن فيهم العباسيون، ولا يقتصر الأمر على أتباع الدولة الأموية حسب. وعندها:

1– لا يفشلون

2– لا يسقطون

3–بني الأحرار (لا يُستعبدون) ← 5– حتى سبأنا (هم من يَستعبدون ويُذلّون غيرهم)

4– تكثر أعيادهم احتفالًا بالانتصارات

نرى تصعيدًا وتهديدًا مُبطّنًا للمهدي وإثباتًا لقوة الفرس، فبعد أن وصفهم "ببني الأحرار" جاء بالرابط" حتى" ليثبت إن كان ثمة أسر واستعباد وإذلال فسيكون من نصيب خصومهم، فالرابط "حتى" من الروابط المدرجة للحجج، والقول المشتمل عليه لا يقبل الإبطال أو التعارض؛ لذا تصنف ضمن الروابط المدرجة لحجج قوية، غير قابلة للرد أو الاعتراض"[39]. وقد توالت الحجج بعد "حتى" في القصيدة على النحو الآتي:

- سبأنا: يُذِلّون غيرهم ولا يُذَلّون
- لا نرهب القتل
- لا نضنّ على راح بأصفاد ← ( لا يصدهم توقّع القتل أو الأسر عن القتال)
- ضربنا على المهدي قبّته

حتى

- سقنا الخلافة

وقد بيّن العلاقة الرابطة بين الموالي والعباسيين موظفًا حجة عدم الاتفاق في قوله:

لوْلا الْخَليفَةُ أنّا لا نُخالِفُهُ لقَدْ دَلَقْنا لِأرْوادٍ بِأرْوادِ

حسب المعتقد الفارسي فإن للخليفة قداسة ونظرة تجعل منه ظلّ الله على الأرض، والواجب طاعته، وكأن الشاعر يقدم حججًا تنفي عنه تهمة أن يكون من الخوارج؛ فطاعة الخليفة واتباع ولي الأمر مبدأ راسخ، ولا يتفق الولاء والانتماء للخليفة مع إصدار الجيوش وإشعال جذوة الحرب إلا بأمره. ولا تتفق مخالفة الأمير مع مكانته على الأرض، وعليه فالمنطق في طاعة الخليفة منطق فارسي راسخ في ذهن الشاعر وعقيدته. وقد اتبع الوصل السببي لترسيخ معتقده معتمدًا الرابط "لولا"، وهو حرف امتناع لوجود ( لولا ... ل ...)، فربط المقدمات بالنتائج على النحو الآتي:

م: لا نخالف الخليفة( سبب) ←لا ندلف مقدمات الجيش (نتيجة وسبب) ← ن: لا نشعل نيران حرب.

ولا تخلو العبارة من استقواء وتهديد مُبطّن أيضًا، إذ لو لم يكن الموالي وبشار تابعين صادقين لمعتقدهم الفارسي نحو مكانة السلطان، لكانت النتيجة على النحو الآتي:

- م: نخالف الخليفة (سبب)← ندلف الأرواد( نتيجة وسبب) ← ن: نشعل نيران الحروب.

النتائج النهائية المضمرة:

ن 1: الفضل للموالي على الخلافة العباسية وعلى المهدي رغم اختلاف الدين.

ن2: الأولى بالمهدي شكر الموالي وتقدير دورهم.

ن3: الموالي لا يستحقون القتل.

ن 4:بشار من الموالي: بشار لا يستحق القتل حتى لو كان زنديقًا.

النتيجة الكبرى: الموالي عنصر مهم ومحور رئيس في الحياة السياسية في الدولة، وهم من يوجهون دقة الأحداث فيها حسب موقفهم، وهم جوهر الصراع أو السلام فيها.

**ه – مقارنة بين موقف الموالي مع العرب وموقف العرب بعضهم مع بعض:**

في مقارنة خفيّة قلب الشاعر البرهان على صاحبه، وردّ تهمة الضلال لخصومه من الأمويين خاصة، والعرب ضمنًا، في قوله:

لَمْ يَشْعُروا برَسولِ اللهِ بَلْ شَعَروا[40] ثُمَّ اسْتَحالوا ضَلالًا بَعْدَ إرْشادِ

وتعالت لغة الحقد والكراهية، فوصفهم بالمرتدين الضالين الذين رجعوا عن الهدى، وضلوا بعد إيمانهم برسول الله ومعرفتهم رسالة الإسلام، واستعان بحرف الإضراب(بل) ليؤكد فكرته، وهو من روابط التعارض والإبطال، ويربط بين الحجج المتعارضة، ويوجّه الخطاب لنتيجة معاكسة[41]على النحو الآتي:

ن: جرمهم أعظم ممن لم يشعروا برسول الله ومن الزّنادقة (مضمرة)

ن: لا لوم عليهم إن ضلوا (مضمرة ) ن– استحالوا ضلالًا بعد إرشاد/ ضلوا(ظاهرة)

م: لم يشعروا برسول الله بل شعروا برسول الله . (يجب ألّا يضلوا)/ مضمرة

وقد أقام الشاعر مقارنة للتعريض بالعرب وذمّهم متكئًا على المفارقة، إذختم هجاء الأمويين مبيّنًا موقفهم مع أولاد عمومتهم العباسيين، وموقف الفرس الأعاجم في نصرتهم، فعاب على العرب(ضمنًا) خذلان بعضهم بعضًا، مع أن دماءهم واحدة، بينما يهرع الغرباء من الفرس لنصرتهم والذبّ عنهم، فجعل رابطة القرابة الحقة تتمثل في النصرة لا في رابطة العرق والدم والنسب.

واستخدم صيغة المبالغة (صدّاد) ليؤكد عمق الخلاف وحجم الحقد بين الطرفين، ويبدو تأثره بالثقافة الإسلامية في قوله: (قول الرسول)، وكأنه يلفتنا إلى رابطة الأخوة التي جمعت المهاجرين بالأنصار وجعلت الأنصار حصنًا منيعًا لرسول الله ومن معه من المهاجرين بعد ما تعرّض له من أذى وصراع مع عشيرته وأهله في مكة، كما يلفتنا إلى قول الله عز وجل: " الذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض" وذلك في قوله ساخرًا[42]:

قالوا(بَنو عَمِّكُمْ) مِنْ حَيْثُ نَنْصُرُكُمْ قَوْلَ الرَّسولِ وَهذا قَوْلُ صَدّادِ

وبذلك انتصر الشاعر لنفسه، ووجد فرصة سانحة لبثّ كرهه وسخريته من العرب والمسلمين، كماأثبت مراوغته وتقلّب مزاجه والتفافه على العرب دون مبالاة، والدليل قوله مفتخرًا بالفرس ومتنكّرًا لمروان الأموي وشيعته وقد كان مدّاحًا له في السابق[43]:

هُناكَ يَنْسونَ مَرْوانًا وَشيعَتَهُ وَيَطْرَقونَ حَذارَ الْمِنْسَرِ الْعادي

قالوا بَنوا عَمِّكُمْ مِنْ حَيْثُ نَنْصُرُكُمْقَوْلُ الرَّسولِ وَهذا قَوْلُ صَدّادِ

**النتائج:**

1- تستنتج الدّراسة أن القصيدة مثلت في ظاهرها مديحًا للمهدي، وانطوت على هجاء وقدح، وهو مابدا في مقدّمة القصيدة، كما انطوت على تهديد ومنّ واستقواء على الخليفة، وهو ما بدا في ثنايا فخره بالفرس وبثّ معتقداتهم.

2- لم يكن انتماء الشاعر للدولة الأموية والعباسية انتماء حقيقيًا على الرغم من تشرُّبه الثقافة العربية واستقائهعلومها، ومعرفة عادات العرب ودينهم، وإتقان صنعة الشعر، إلا أنه اتخذ شعره وسيلة للتكسُّب وجمع الأموال من الخلفاء العرب، وكان وسيلة للذبّعن النفس وحمايتها، وبثّ كرهه وهجاء العرب مقابل الفخر بأمجاد الفرس وبطولاتهم.

3- لم يتمكن الشاعر من إخفاء ملامح زندقته بتعريفاتها المختلفة، إذ أبدى تعاطفًا مع "نديميه" كما وصفهما، وأظهر شعوبيته وتلوُّنه القومي والعقائدي والسياسي في فحوى خطاباته وفي تسلسل الحجج وتتابعها، وآليات السلّم الحجاجي اللغوية وما حوته من مقارنات وسقطات لسان لا تصلح لأن يخاطب بها الخليفة في مقام الاعتذار والدفاع عن النفس.

4- جمع الشاعر في قصيدته عناصر القصيدة التقليدية مع التجديد، فتخفّف من الوقوف على الأطلال وتوجه إلى الرثاء وانتقل منه إلى غرض المديح. وحافظ على جزالة الألفاظ وحسن السبك وإضفاء صفات معروفة متداولة في المديح التقليدي؛مستلهمًا من العصر الجاهلي فن الاعتذاريات تحديدًا،مضيفًا ثقافة العصور الإسلامية التي عاصرها، فانعكس على ألفاظ القصيدة وعباراتها وأفكارها.

## Abstract

## Allusion and Persuasion in Bashar ibn Burd's Daliyya: "Have You Stopped at a DistinctLand Worthy of Praise…"

## By Huda Saleh Shnyour

This study examines a daliyya (a poem with end-rhymes in the letter Dāl) by Bashar ibn Burd that praises Caliph al-Mahdi. It explores the poet's use of allusion and persuasive techniques in addressing the Caliph, as a form of self-protection after two of his close companions were executed for heresy by the Caliph's order—leaving Bashar in a vulnerable position.

The study also looks at his relationship with political power and reflects on his views of Arabs, his beliefs, and the accusations of heresy against him. It adopts a descriptive and analytical method to trace hidden meanings and rhetorical strategies in the poem. The structure includes an introduction, two main sections, and a conclusion. The first section discusses the rhetorical direction of the poem—both suggestive and persuasive—while the second analyzes the linguistic tools Bashar used to build his persuasive appeal.

The findings suggest that Bashar was not successful in clearly defending himself. Though he attempted to show loyalty to the Caliph and the state, the poem contains indirect criticism beneath the praise, as well as elements of satire and implied warning. These features reflect a deeper alignment with his Persian roots and hint at a conflicted stance toward Arab and Islamic identity.


**Keywords:**Bashar ibn Burd, al-Mahdi, allusion, persuasion, heresy, Shu'ubiyya.

**الهوامش**

[1]أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسن (ت 356 ه)، الأغاني، دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، ج3، 1963م، ص142.

[2]السسابق، ص135.

[3] ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ص204.

[4]ليونيل بلنجر،عدة الأدوات الحجاجية ، ترجمة قوتال فضيلة في : الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 390.

[5]عبد الفتاح نافع، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 1983، ص25.

[6]ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ص206.

[7]فوزي، فاروق، حول زندقة بشار بن برد، ص23.

[8]الثعالبي، ثمار القلوب، ص128.

[9]ديوان بشار بن برد، شرح: عاشور، محمد ، ص297.

[10]ابن النديم، الفهرست، ص 338.
[11]الشريف المرتضى، الأمالي، ص143.، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص338.
[12]ديوان بشار، ص 310.
[13]ديوان بشار، ص298.
[14]ديوان بشار، ص298.
[15]. ضيف، شوقي، العصر العباسي، ص 204.
[16]ديوان بشار، ص300.
[17]السابق، ص303.
[18]السابق، ص305.
[19]السابق، ص 309.
[20]الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج3، ص14.
[21]السابق، ص29.
[22]ديوان بشار، ص300.
[23]ديوان بشار، ص300-301.
[24]السابق، ص301.
[25]ديوان بشار، ص302.
[26]ديوان بشار، ص299.
[27]ديوان بشار، ص306.
[28]ديوان بشار، ص308.
[29]الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب ص500
[30]ليونيل بلنجر،عدة الأدوات الحجاجية ، ترجمة قوتال فضيلة في : الحجاج مفهومه ومجالاته 390.
[31]السابق، ص:391.
[32]ديوان بشار، ص307.
[33]السابق، ص308.
[34]ديوان بشار، ص300.
[35]السابق، 305-306.
[36]ديوان بشار، 305-306.
[37]السابق، عدة الأدوات الحجاجية، ص 292
[38]الشهري، عبد الهدي، استراتيجيات الخطاب، ص500.
[39]العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص73.
[40]ديوان بشار، ص301.
[41]العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 73.
[42]ديوان بشار، ص302.
[43]ديوان بشار، ص302.

**المصادر والمراجع**

1-الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، ج3، 1963م.
2-ابن برد، بشار، ديوان بشار بن برد، ابن عاشور، محمد الطاهر( محقق)، ج2، القاهرة، 1954.
3-الثعالبي،عبد الملك بن محمد (ت 429ه)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة.
4-الجاحظ، عمرو بن بحر(ت 255ه)، البيان والتبيين، مكتبة الهلال، بيروت، ج3، 1423ه.
5-الشريف المرتضى، علي بن الحسين(ت 436ه)، الأمالي، أبو الفضل، إبراهيم(محقق)، ط1، 1954.

6-الشرقواوي، إيهاب خالد سعد، و عبدالله، محمد حسن، الحجج المؤسسة لبنية الواقع في ديوان بشار بن برد: دراسة تداولية. مستل من رسالة: آليات الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد، دراسة تداولية، عبد العزيز، ربيع (مشرف)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، عدد 64، 2023.

7- الشرقواوي، إيهاب خالد سعد، و عبدالله، محمد حسن، الروابط الحجاجية في ديوان بشار بن برد : دراسة تداولية، مستل من رسالة: آليات الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد، دراسة تداولية، عبد العزيز، ربيع (مشرف)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، عدد 64، 2023.

8-الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004.

9-عبد الفتاح، نافع، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 1983.

10-العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006.

11-ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، دار المعارف، مصر، ط1، 1960.

12-فوزي، فاروق عمر، حول زندقة بشار بن برد، مجلة المورد، عدد 4، 1976.

13-ليونيل بلنجر،عدة الأدوات الحجاجية ، ترجمة قوتال فضيلة في : الحجاج مفهومه ومجالاته، علوي، حافظ(مشرف)، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010.

14-ابن النديم(ت380 ه)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1997.

15-هيثم، سرحان، الخطاب الحجاجي في ديوان بشار بن برد مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، عدد 11، 2013.

16-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (626ه)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995.